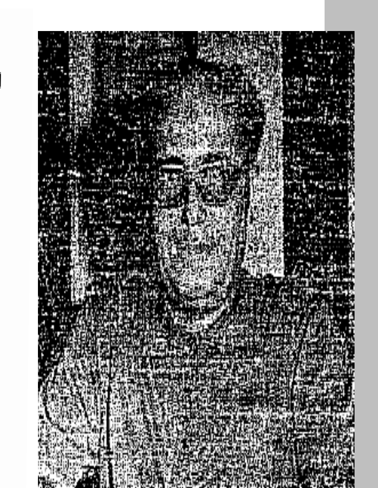
جمال الأتاسي وآخرون

مَوَاقف وَحدويّة

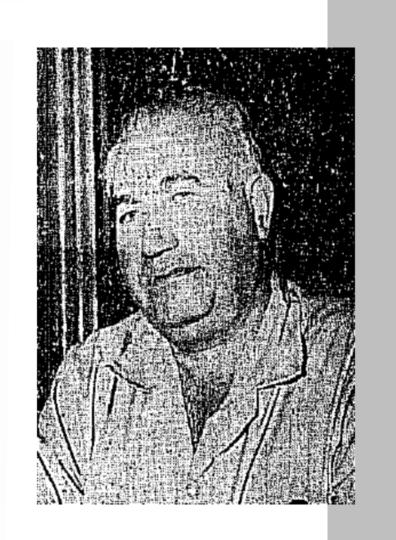


منشورات 1982 الطليعـة



- نظمنا التقدمية ليست ثورية بالقدر الكافي، لذلك فهي ليست وحدوية بالقدر الكافي.
- نحن الآن لسنا أمام خط لتوحيد القوى، بل مازلنا أمام تبعثر وتشرذم في القوى يتسع ويتمادى

د. جمال الأتاسي



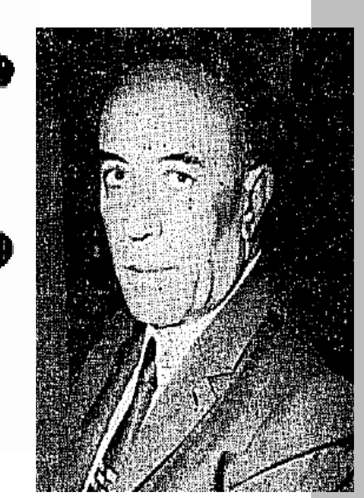
- التجزئة التي يعيشها الوطن العربي ليس لها مستقبل.
- تجربة الوحدة المصرية - السورية كانت عامل دفع للجماهير العربية على طريق الوحدة.

ظهير عبد الصمد



- لا أعرف صيغة سياسية معينة يمكن أن تحل محل الحركة العربية الواحدة أو الفكر العربي الواحد.
- نقطة البداية هي تكوين المواطن العربي كمواطن من أجل دولة كبيرة

صدقي إسماعيل



- الولاء الوحيد الذي يجب أن يدين به المواطن العربي هو الولاء للأمة والقومية.
- القرار السياسي أولاً، ثم القرار الاقتصادي.

فوزي كيالي



• الوحدة ثورة ، ومن طبيعة الثورات أن تكون ذات نزعة هجومية .

• نحن الآن أمام عمل مصيري ، وعلينا أن نقبل على العمل الوحدوي أخذاً من تجارب الماضي وانطلاقاً نحو تصور معقول للمستقبل .

أدهم مصطفى



• الوحدة العربية ليست فكرة نظرية ، وانما هي بنت الواقع العربي .

• ضربوا بالانفصال شكل الوحدة العربية ، لكن التجربة الوحدوية ازدادت عمقاً .

أديب ملحم

مواقف وحدوية

ايلول - تشرين الاول ١٩٧٢

جمال أتاسي :

ان الوحدة العربية هي التطبيق الفعلي لفكرة القومية العربية ، أي لإرادة الأمة العربية الواحدة في أن تشكل دولة واحدة ، وهي استراتيجية تحقيق هذه الفكرة . ولقد تطور الفكر القومي العربي واغتنى كثيراً من تجارب نضال أمتنا ومن تجارب نضال الشعوب في العالم وثوراتها . كذلك فان مفهوم الوحدة العربية كطريق في العمل والنضال وكصيغ في التطبيق والتحقيق ، قد مر بتجارب كثيرة ، بعضها سلبي وبعضها ايجابي ، وقد أنضجته هذه التجارب وأعطته ملامح واضحة . لقد تحدث الاخوان عن المراحل

التاريخية التي مر بها مفهوم الوحدة وأكدوا على عدد من جوانبه المتطورة ، ولا أريد أن اقف عند منا قشتها ، بل اريد أن انتقل الى تصور مفهوم الوحدة من حيث تطوره الواقعي والمسائل التي يطرحها هذا التطور . واحصر المسألة في وجهها المباشر كارادة للأمة ، وبالأحرى للجماهير العربية العريضة ولقوى النضال العربي ، في تشكيل كيان سياسي موحد . انني أنطلق بالطبع من مسلمة وجود الأمة ومن مسلمة القومية العربية وكونها الاطار الطبيعي لفكرنا ونضالنا ، تلك حقائق لم تعد بحاجة للتأكيد . اننا لم نعد بحاجة للتبشير بوجود الأمة العربية ولتأكيد هذا الوجود ومقومات هذا الوجود التاريخية والحضارية والجغرافية والاقتصادية والبشرية ، ولا للتأكيد على ضرورة وحدة هذه الأمة وأهمية هذه الوحدة في تحقيق تحررنا وبناء تقدمنا ، تلك مسائل تجاوزها النضال العربي في أكثر الاقطار العربية ، بل المسألة الملحة اليوم ، كيف نستخلص طريقاً للوصول الى الوحدة ، والى بناء دولة للوحدة .

لقد طرحت قضية الوحدة في نضال شعبنا كنزوع لاستكمال وجوده القومي ، ولكنها طرحت من المعاناة المباشرة للعقبات التي وضعتها عن طريق تحررنا الوطني وتقدمنا الانساني أجيال طويلة من التجزئة والتخلف، ومن خلال النضال ضد التسلط الاستعماري وضد التابعية ، كما صعدت قضية الوحدة تدريجياً لتأخذ ابعادها كاستراتيجية في التحرر الشامل وفي التصدي للامبريالية ، وفي التصدي لمواجهة الأخطار التي تتهدد امتنا ، قطرياً وقومياً، فالمضمون الاول والاساسي اليوم لمفهوم الوحدة العربية أنها استراتيجية التصدي لأعداء امتنا ، ولأعداء تحررنا وتقدمنا ، الذين هم اعداء التحرر في العالم ، فالقومية العربية اليوم في تصادم مطلق مع الامبريالية .

لقد مرت مرحلة حاولت فيها الأنظمة العربية التقليدية والرجعية ، وحاولت فيها القيادات الاقطاعية والبورجوازية أن ترفع شعار الوحدة العربية وان تبشر بها ، ويمكن القول ان أقصى ما أمكن أن تعطيه تلك النظم من امكانيات لتحقيق هذا الشعار ، هو كيان الجامعة العربية . لقد كانت محاولة لتجميع الدول العربية التي لها كيان معترف به دولياً من خلال رابطة محدودة والتزامات محدودة ، تكرس الظروف الاقليمية وواقع تباين النظم وتناقضها ، انها الصيغة التي سمحت بها وتسامحت معها الامبريالية ولم تعترض

طريقها ، وهي الصيغة التي ترتضيها النظام التقليدية والرجعية ، ولا تعمل على التقدم بها أو تجاوزها في شيء لأن ذلك يعني انهاء تلك النظم وتجاوزها .

إن هذه الصيغة في الوحدة وفي العمل القومي العربي ، قد ثبت فشلها وعدم جدواها من خلال فشلها في التصدي للمشكلات التي تواجهها أمتنا وللمخاطر التي تهددها ، ولقد تكشف ذلك بشكل فاضح عام ١٩٤٨ ، فأمام «نكبة فلسطين» وقيام اسرائيل ، سقطت تلك الصيغة في العمل القومي ، وكشفت عن نفسها في انها عاجزة عن التصدي لهذا الخطر الجديد الذي يهدد أمتنا ، وعن النهوض بهذه الأمة وعن تجاوز ظروف التجزئة والتخلف ، وعن التصدي لهذا السرطان الذي زرع في جسد أمتنا معززاً بقوة الصهيونية العالمية والامبريالية . ولو أن تلك الصيغة ، أي الجامعة العربية ، لم تجسد في يوم من الأيام ارادة لجماهير أمتنا ، أو أي مطمح من مطامح شعبنا .

من قبل عام ١٩٤٨ ، طرحت مفاهيم أخرى للوحدة العربية ، هناك احزاب قومية بورجوازية طرحت بالأسلوب القومي التقليدي فكرة الوحدة ، كما تقدمت أحزاب قومية تقدمية وثورية رافعة شعار الوحدة كمطلب جماهيري وثوري ، وطرحت مضامين تقدمية لمفهوم الوحدة واستراتيجية تحقيقها . الا ان نكسة عام ٤٨ أسقطت في نظر الجماهير المنطق التقليدي والبورجوازي في معالجة قضية التحرر والوحدة معاً ، وأصبح الطرح الجديد من القوى الجماهيرية ومن الأحزاب والقوى التقدمية لمطلب الوحدة ، في أنه يأتي عبر تغيير أساسي في بيئة المجتمع ، وعبر اسقاط للنظم المحافظة التي تتغذى من عوامل التجزئة والتخلف وتتناقض مصالحها مع التقدم ، والتي لا تستطيع أن تتحرر من التابعية والاقليمية ولا أن تناضل نضالاً جدياً ضد الامبريالية ، بحكم عقليتها المحافظة ، وبحكم مرتكزاتها الاجتماعية والاستغلالية والمعادية للجماهير ، وبحكم مصالحها ، فأصبح الدفع على طريق الوحدة ، يعني الدفع على طريق التحرر الاجتماعي والسياسي معاً ، وتغيير تلك النظم . ولقد سقطت نظم وحصلت تغييرات كثيرة وفي الخمسينات كانت الاندفاعة الوحدوية للجماهير عارمة ، وبخاصة في المشرق العربي ، وتقدم مطلب الوحدة كمطلب جماهيري ثوري يتجاوز النظم والحكام ، ويتطلع الى دولة حقيقية للوحدة ، ومقابل ذلك تحركت النظم الرجعية الموالية في مصالحها واقليميتها للقوى الاستعمارية ، وتحركت مشاريع وحدوية مصطنعة لصد التيار الجماهيري الوحدوي ، ولتفريغ مطلب الوحدة من مضمونه التحرري الثوري ، مثل مشروع الهلال الخصيب وسورية الكبرى ...

كمشاريع تغذيها القوى الامبريالية وتقوم تحت وصاية النظم التقليدية ومن خلال التابعية المطلقة للدول الغربية .

فالحقيقة أن التطورات السياسية والاجتماعية والتغييرات التي حصلت في اقطار المشرق العربي ، يقابلها ذلك الصعود التاريخي لثورة ٢٣ تموز في مصر ، أعطت وجهاً جديداً للنضال العربي ، وابعاداً جديدة للعمل الوحدوي . فعدا اليقظة القومية الكبرى التي نهضت بها ثورة ٢٣ تموز في مصر، فان لقاء هذه الثورة مع حركة الجماهير الوحدوية في المشرق العربي ومع قواه التقدمية ، من خلال النضال الوطني التحرري في كل قطر ومن خلال النضال ضد التابعية وضد محاولات الاحتواء والسيطرة الامبريالية ، ومن خلال النضال ضد قوى الرجعية والردة ، أعطت دفعاً جديداً للمفهوم الوحدوي ، الذي اخذ ينضج بمضمونه الأساسي كاستراتيجية في التصدي للاستعمار الاسرائيلي وللامبريالية العالمية. وكانت تجربة العدوان الثلاثي على مصر عام ٩٥٦ وما اعقب ذلك اغناءاً كبيراً للنضال العربي ، وعلى هذا الطريق الاستراتيجي العريض وبارادة الجماهير الواسعة، قامت أول تجربة رائدة للوحدة عام ١٩٥٨ ، وقامت الجمهورية العربية المتحدة .

إن وحدة عام ٥٨ كانت تجربة وحدوية ثنائية ، بين القطرين اللذين بلغا شوطاً معيناً من التقدم وشوطاً كبيراً من التحرر ووقفا موقفاً واحداً في الصدام مع الامبريالية ومحاولات الاحتواء وفرض النفوذ ، ولكن تلك الوحدة أعطت مرتكزاً أساسياً للاستراتيجية الوحدوية ، مازال أساسياً وكبيراً ، هي بناء ذلك الجسر الوحدوي الذي يربط المشرق بالمغرب ويحيط باسرائيل ويتخطاها ، الجسر الذي يربط مصر بسورية ليكون الدعامة الكبرى للنضال العربي والوحدة العربية .

ان وحدو عام ٩٥٨ كانت طوراً جديداً في تطور العمل الوحدوي وتجربة ثمينة في الاستراتيجية الوحدوية . لقد قلنا الكثير عن هذه الوحدة وكتبنا الكثير ، وكل ما أريد قوله الآن أن تلك التجربة اعطت تأكيداً لامكانية التحقيق المباشر لدولة الوحدة، وأعطت ذلك النموذج والمثل ، امام قوى التقدم والثورة العربية وللنظم العربية الجديدة ، في طريق تجاوزها لنفسها لتقيم الكيان السياسي لدولة الوحدة .

عند الحديث عن الوحدة يذهب الكثيرون الى التركيز على الظروف الموضوعية لكل قطر وعن الفوارق الاجتماعية والاقتصادية والثقافية .. بين الأقطار . تلك امور

لها وزنها ولا شك واثرها في تطور مفهوم الوحدة ، وكما ذكر بعض الاخوة ، ان تلك الظروف تتقدم وتنضج وهي اليوم اكثر نضجاً من ذي قبل بفعل عوامل عديدة ، ولكن المسألة التي أردت التركيز عليها هي تطور المفهوم السياسي للوحدة ، والارادة الأساسية التي برزت ، إرادة الجماهير وارادة القوى النضالية الفاعلة ، في أن تصنع ذلك الكيان السياسي وأن تتجاوز جميع المعوقات التي تعترض سبيل اقامة دولة للوحدة ،

قلت إن ثمة بعداً للعمل الوحدوي تجاوزناه بعد عام ٩٤٨ ، وان ثمة مرحلة جديدة قامت بين عام ٩٥٤ وعام ٩٥٨ أعطت تلك التجربة في الوحدة الثنائية واعطت أفقاً جديداً للعمل الوحدوي ، كما اعطتنا ايضاً من خلال ضربة الانفصال التي تلقتها درساً كبيراً . فالانفصال الذي وقع كشف من عوامل الخلل والضعف في جسد تلك الوحدة ، والتي تركت لقوى التآمر والردة أن تضرب تلك الوحدة . كان من الطبيعي لتلك التجربة الأولى في الوحدة أن تمر في أزمات وحساسيات وأن تواجه مصاعب ومتاعب ، ولكن قيادة دولة الوحدة عندما أرادت ان تتصدى وان تقوم بالتحويلات الاجتماعية والاقتصادية التي تعزز تقدمية دولة الوحدة، تحركت القوى الرجعية معززة بالدعم الامبريالي والتآمر الكبير . ان وحدة عام ٩٥٨ ولو انها جاءت تحت قيادة تقدمية ثورية ، فانها في بنائها السياسي وتنظيمها لم تستكشف ابعاد الخطر عليها ومن هم اعداءها ، ولم تبن قوتها وقاعدتها الجماهيرية التقدمية المنظمة التي تضمن حمايتها .

لقد جاءت وحدة ٥٨ بالارادة العامة للشعب ، وأرادت أن تبني نظامها من خلال تلك الارادة العامة من غير تمييز بين القوى الصاعدة فيها والمنسجمة معها ومع تقدميتها ومن هي القوى التي تتجاوزها بالضرورة تلك الوحدة وتتجاوز عقليتها ومصالحها ، والتي تصبح بالضرورة قوى معوقة أو معادية تتآمر عليها . انها صنعت الوحدة وكانت تلك تحدياً كبيراً لجميع القوى المعادية لتحرر أمتنا وتقدمها ، ولكنها لم تصنع الأداة الصلبة التي تحمي الوحدة وتحمي تقدميتها .

تلك أيضا تجربة ، فالمضمون الأساسي الذي أعطي لمفهوم الوحدة بعد ضربة الانفصال هو البعد الاشتراكي للوحدة ، والمرتكز الطبقي الذي يعزز الهوية الاشتراكية للعمل الوحدوي . قبل تلك التجربة لم يكن هناك من اشتراط للوحدة بالطريق الاشتراكي ولا بالنظام السياسي الذي يرتكز الى تحالف طبقي محدد ، وبعدها أصبح ذلك الاشتراط . كما أن مفهوم الوحدة تعزز أكثر من ذي قبل أيضاً في الموقف القاطع ضد الامبريالية .

لقد مرت بعد ذلك مرحلة وقفت فيها مصر وهي تحمل اسم الجمهورية العربية المتحدة لوحدها ، تستقطب من حولها التطلع الوحدوي والنضال العربي التحرري ، وعززت تقدمية نظامها ووضعت ميثاق عملها الوطني ، لتضع معالم استراتيجية عريضة في النضال العربي وفي العمل الوحدوي .

لقد حصل بعد ذلك تغيرات كثيرة في الوطن العربي وقامت ثورات ونظم جديدة. تحررت الجزائر وانتصرت ثورتها الوطنية ، وحصلت تغيرات بعده في المشرق العربي ، فقامت حركة ٨ شباط في العراق وحركة ٨ آذار في سورية ، وتعددت النظم التقدمية التي ترفع رايات الحرية والاشتراكية والوحدة ، وأخذ التطلع للوحدة يغتني بأبعاد وامكانيات أعمق وأشمل ، ولم يعد النضال العربي التقدمي في أبعاده الاشتراكية يتمركز في قطر واحد ، واذا ماظلت مصر في تطورها وتقدمها ، وفي وزنها البشري والنضالي المحور الأساسي للاستقطاب الوحدوي ، فلقد تعددت بؤر الثورة العربيـة وتعددت النظم التقدمية وما زالت تتعدد ، وطرح على صعيد العمل الوحدوي ، تعدد الأقطار التي تضمها بدءاً دولة الوحدة ، وتقدمت صيغ للوحدة من خلال استيعاب تجربة الوحدة والانفصال ، أبرزها صيغة الوحدة الاتحادية التي طرحها حزب البعث العربي الاشتراكي عام ٦٢ ، والتي كانت محور النقاش في محادثات الوحدة بين القيادة السياسية في المتحدة وسورية والعراق عام ٦٣ . ان المناقشات التي دارت في محادثات الوحدة والتي أثمرت ميثاق ١٧ نيسان الذي لم يكتب له التحقيق لعوامل معروفة ، قد أغنت مفهوم الوحدة من خلال الطرح المتعدد الجوانب لمسائلها ، فعند التأكيد على المنطلق التحرري الجذري والمنطلق الاشتراكي ، كانت هناك مواجهة المسألة الأساسية في بناء دولة الوحدة ، وهي مسألة التنظيم السياسي الذي ترتكز عليه دولة الوحـدة ، أي الأداة السياسية لتحقيقها وحمايتها ، أي موضوع التنظيم السياسي الموحد وطريق الوصول اليه . وهنا كانت العثرة ، فبدل السير نحو وحدة القوى ووحدة النظم ، كان التصادم والتباعد ، وقامت معوقات جديدة على طريق الوحدة .

ونحن اليوم اذ نفتش عن السبل التي تدفع نحو الوحدة ، لابد ان نواجه المسائل المتجددة التي تربك العمل الوحدوي ، لا من النظم التقليدية التي مازالت قائمة ومن القوى

الرجعية ، بل من النظم التقدمية ذاتها ، فلقد تأقلمت هذه النظم وأخذ كل واحد منها يبني تجربته الخاصة،وهي ولو أنها تبنيها من خلال شعارات وحدوية ولو أنها تلتقي في الأهداف، فان ارادة تجاوز النظم لذاتها قد ضعفت ، ارادة تجاوز النظم لاطارها الخاص في سبيل بناء النظام السياسي المشترك أو الموحد الذي تبنى عليه دولة الوحدة .

وبعد هذا كله فنحن أمام مرحلة جديدة ، هي تلك التي خلقتها هزيمة حزيران ، والتي تطرح مأساة أمتنا كلها وعثراتها والسؤال الكبير الذي يطرحه كل مواطن عربي : الى أين نسير ؟.

بعد الهزيمة برز مطلب الوحدة كمطلب ملح وكحاجة أساسية لابد منها للتصدي لظروف الهزيمة وكعامل أساسي في استراتيجية التحرير ، فالدفع على طريق الوحدة أصبح يأخذ شكل دفع من خلال حاجات المعركة وفي سبيلها ، واصبح يتوجه بصورة مباشرة للقوى والنظم التقدمية التي تحمل على عاتقها مهمة التحرير .

ظهير عبد الصمد :

بالنسبة لقضية الوحدة العربية ومفهومها، من المفيد باعتقادي العودة الى الفترة الاولى التي برز فيها شعار الوحدة العربية . ففي اواخر القرن التاسع عشر برز هذا الشعار وكانت البلدان العربية خاضعة اما للسلطة العثمانية او لاحدى الدول الاستعمارية ، وكان هذا الشعار بمفهومه الاولي يعني اللامركزية عند البعض او اقامة حكومة عربية تضم بعض الاقاليم العربية او كلها عند البعض الآخر . ان شعار الوحدة العربية كان منذ بروزه شعاراً معادياً للتبعية للسلطة العثمانية وموجهاً ضد الاستعمار ، اي أنه كان يعني لتحرر والاستقلال واقامة حكومة عربية مستقلة .

خلال الحرب العالمية الاولى ، شعار الوحدة العربية برز بصورة عملية من خلال الشريف حسين ومن خلال بعض العناصر السياسية والهيئات التي تبنت شعار الوحدة في سورية والعراق ولبنان وفلسطين والاردن . وقد صدمت العناصر الوطنية بالواقع المؤلم الذي فرضته عليها الدوائر الامبريالية ، صدمت بواقع قيام الاستعمار بتجزئة البلدان

العربية ، واقتسامها فيما بين دوله واحتكاراته . ان عملية التجزئة هذه كانت عملية مدبرة ومهيأة من قبل . ان الاستعمار كان يخطط لها منذ زمن بعيد وهدفه الاساسي هو الحؤول دون انشاء حكومة عربية كبيرة أو صغيرة مستقلة تشكل كيانا كبيراً في هذه المنطقة .

بعد الحرب العالمية الاولى ، ونشوء حكومات وأقاليم ومراكز عديدة مرتبطة بهذه الدولة الاستعمارية او تلك ، بدأ يتكون بكل دولة او امارة عناصر من مصلحتها حماية هذه الكينونات الصغيرة ، هذه الدويلات الصغيرة ، وأخذت هذه العناصر تعرقل وتعوق اي تقارب عربي ، واخذت تشكل عوائق في طريق النضال من اجل الوحدة .

والجماهير الوطنية في البلدان العربية ، والقوى الوطنية المختلفة ، كانت ترى في مرحلة الاحتلال والانتداب ، ان المهمة الاساسية الموضوعة أمامها هي التحرير ، تحرير اوطانها من الانتداب والاستعمار ، ومن الناحية العملية فقد حل شعار التحرر من الاستعمار محل شعار الوحدة ، ولكن هذا الشعار لم يرفع كليا ، فقد ظلت بعض الاحزاب وبعض الهيئات ترفع شعار الوحدة العربية ، وكان لها حوله مفاهيم عديدة ، وكان البعض يفهمه بشكل طوباوي والبعض يرى أن امكانية تحقيقه ستكون فقط بعد تحرر البلدان العربية من الاستعمار . ان شعار الوحدة العربيــة كان يعكس مطامح الجماهير الشعبية وكان يرتبط بنضالاتها الوطنية في سنوات ما قبل الحرب العالمية .

بعد الحرب العالمية الثانية تغيرت الامور جذرياً ، وبسبب عوامل دولية وانهيار النظام النازي ، وانتصار الاتحاد السوفييتي ، توفرت الامكانيات لتحرير شعوب آسيا وافريقيا واميركا اللاتينيــة ، وفي عدادها البلدان العربيــة ، وعملياً تحررت اقسام واسعة من بلدان آسيا وافريقيا كما تحررت اكثرية البلدان العربية من الاستعمار ، وهذا هيأ التربة المناسبة للنضال من اجل الوحدة ، لرفع شعار الوحدة العربية من جديد ، وفي ظروف جديدة، في ظروف التحرر السياسي والنضال من أجل التحرر الاقتصادي، في ظروف النضال ضد الاقطاعية .

وأخذت البلدان العربية المستقلة تدرك أهمية تعاونها وتقاربها من بعضها البعض في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية ، وبعــد تأميم المؤسسات الاستعمارية في العديد من البلدان العربية المستقلة ، أخذ مفهوم الوحدة العربية يغتني تدريجياً بمفاهيم اجتماعية تقدمية ، واخذت التطورات المتلاحقة العاصفة التي تتم في البلدان العربية المختلفة تؤثر

وتغني مفهوم الوحدة العربية ، وتلاحم حركة التحرر العربيـــة بالمفاهيم الاجتماعية التقدمية اغنى مفهوم الوحدة العربية ، وربطه بالقوة التقدمية .

وبعد الهزيمة التي لحقت بالبلدان العربية عام ١٩٤٨ وتكون دولة إسرائيل بهذه المنطقة ، ازداد شعور الجماهير العربية بالحاجة الى الوحدة ، ورص صفوفها أكثر فأكثر للوقوف بوجه الأخطاء الأمبريالية والصهيونية التي تهددها . وكانت التجربـة الأولى ، تجربة الوحدة السورية المصرية ، بشكل عام ، هي تعبير عن حاجة الجماهير العربية نحو الوحدة ، ورغم الأخطار التي ارتكبت فيا ، الا انهـا كانت بحكم الانجازات الاجتماعية التي تمت فيها ، انجازات الاصلاح الزراعي والتأميم والتنمية والسير في طريق التصنيع .. الخ ، كانت عامل دفع ، دفعت البلدان العربيـــة والجماهير العربية باتجاه السير نحو الوحدة اكثر فأكثر .

ومن الواضح ايضاً ، انه خلال الوحدة السورية المصرية ، كانت العناصر والفئات والطبقات التي كانت مصالحها مرتبطة بزوال الوحدة ، مصالحها الاقتصادية مرتبطـة بالحفاظ على الكينونات الصغيرة ، كانت تعمل داخل نظام الوحـــدة من اجل تفريغ الوحدة من محتواها الاجتماعي والتقدمي ودفعها في طريق الأخطاء وفي طريق الارهاب، والتعثر ، وكانت في الوقت نفسه تعمل لاستغلال هذه الأخطاء ، واستطاعت هذه القوى الرجعية ان تقصم الوحدة ، وخلال فترة الانفصال كانت هذه القوى تعمل بشتى الأشكال من أجل حماية مصالحها الطبقية ، وضد منجزات التأميم والاصلاح الزراعي ، والتعاون مع الاتحاد السوفيتي وبلدان المنظومـــة الاشتراكية الأخرى ، الا ان القوى الوطنية التقدمية ، القوى العاملة من اجل الوحدة العربية ، والمعبرة عن مصالح الجماهير الشعبية ، كانت أقوى من قوى الردة الرجعية من قوى الانفصال ، واستطاعت هذه القوى ان تقلب الحركة الانفصالية وان تواصل المسيرة التقدمية .

ومن الملحوظ ان شعار الوحدة العربيـــة لم يكن يرفع عملياً إلا من قبل القوى التقدمية المناضلة من جهة من اجل التحرر الوطني ، والمناضلة من جهة ثانية من أجل التحولات الاجتماعية . ان التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي هما لحمة وسدى شعـار الوحدة العربية الذي كانت ترفعه الجماهير الشعبية والقوى الوطنية التقدمية ، سواء طبق هذا الشعار في الحياة ، أم ظل شعاراً تردده الأفواه . ان القوى الوطنية التقدمية كانت تدرك من خلال دراستها لآفاق التطور في البلدان العربية ، ومن خلال دراستها للحركة

الثورية في العالم ، ان التلاحم بين حركة الوحدة ، وبين الحركة التقدمية والاشتراكية في العالم العربي ، هو تلاحم عضوي ، واذا برزت بعض مظاهر التناقض بين هاتين الحركتين، فهي ظاهرة عابرة ويمكن ان تتكرر الا انها سرعان ما تزول بفعل التطور والتجربة ، والوعي والتخطيط. وتجربة البلدان العربية التقدمية ، تعكس هذه الحقيقة بشكل واضح، سواء فيما يتعلق بسورية والعراق أو بمصر او الجزائر ومؤخراً ليبيا واليمن الجنوبي .

وشعار الوحدة العربية يبرز بصورة جلية واضحة في بلدان المشرق العربي اكثر من بروزه في بلدان المغرب العربي ، وهذا يعود لاسباب تاريخية موضوعية من جهة ، وربما يعود في الوقت نفسه لارتباط بلدان المشرق العربي بالمناطق العربية الأصيلة، ويعجز الاستعمار عن تحقيق اهدافه كاملة كما فعل في بلدان المغرب العربي .

ان المستعمرين تمكنوا في شمالي افريقيا بعد احتلالهم الطويل لمراكش والجزائر وتونس وموريتانيا ، من اضعاف مواقع اللغة العربية ، واحلال اللغة الفرنسية محلها ، كما تمكنوا من ربط اقتصاد هذه البلدان باقتصاد فرنسا واوربا الغربية وادى ذلك كله الى خلق تربة ومناخ القوى المعادية للوحدة أو غير المتحمسة لها في بعض المجالات ، أما في المشرق العربي فالقوى الذاتية العاملة من اجل الوحدة كانت متوفرة اكثر ، وما اقصده بالمشرق العربي ليس فقط سورية ولبنان ، والعراق والاردن وفلسطين والجزيرة العربية وانما ايضاً مصر وليبيا .

بعد الحرب العالمية الثانية ، شعار الوحدة العربية ، لم يعد شعاراً عاطفياً فقط ، وانما اصبح شعاراً مرتبطاً بالواقع ، وتوفرت القوى الداعية له والمؤمنة به ، وارتبط واندمج بالتحولات الاجتماعية . ومن خلال تجربة الحياة نفسها نرى ان عملية الوحدة اخذت تتكرر وتأخذ اكثر من مظهر ، وعملية التكرار هذه تبين ان عملية الوحدة هي عملية تاريخية، هي انعكاس لحاجة طبيعية ، حاجة موضوعية ، وهي ليست فقط عبارة عن شعور عاطفي او موقف حزب . وهذه العملية التاريخية لاتزال حتى الآن تسير بشكلها العفوي ، لاتزال تصطدم بمقاومة احياناً ، وتحتضنها عواطف التأييد الجماهيري أحياناً اخرى ، ولكن العمل المدروس الجاد من اجلها لايزال احدى المهام الكبرى الموضوعة امام القوى الوطنية التقدمية ، وباستطاعة هذه القوى ان تتوصل الى فهم متبادل مدروس لهذه القضية ، مستفيدة من التجارب الملموسة . ولا يكفي الحديث فقط

عن الوحدة ، وانما ينبغي اخذ الدروس ، وفهم الواقع الملموس ومعرفة سير التطور وآفاقه ، وفي اعتقادي ان الآفاق بالنسبة للبلدان العربية هي الوحدة ، وامكانية تحقيقها قائمة فيما اذا توفر المفهوم المشترك أو النظرة الواحدة لها ، فيما اذا توفرت اعمال تنسيق بين مختلف القوى الوطنية التقدمية على النطاق العربي في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ان التجارب العملية في مجال الوحدة والتقارب العربي ، كانت تجربة الجامعة العربية تجربة فاشلة ، الا انه بسبب الظروف التي تكونت فيها الجامعة لم يكن ممكناً القيام بأية خطوة أخرى افضل ، اما في الظروف الحالية فان الامكانيات متوفرة اكثر بين العديد من البلدان العربية التي تسير في طريق التقدم الاجتماعي . ان العديد من مسؤولي البلدان العربية التقدمية يتحدثون عن الوحدة العربية ، والتربة متوفرة ، والعنصر الذاتي يلعب دوراً أساسياً وكبيراً في قضية السير نحو الوحدة ، والعمل للوحدة ينبغي ان لا يكون فقط بأيدي القادة ، وانما ينبغي ان يكون ايضاً بأيدي الجماهير الشعبية، جماهير العمال والفلاحين، جماهير المثقفين الثوريين، ورغم تباين الحماس الجماهيري لقضية الوحدة ، فان القوى الطليعية مدعوة بصورة عامة من أجل القيام بعمل موحد على النطاق العربي من أجل تهيئة كل الظروف للتوصل لمفهوم علمي لقضية الوحدة ، ومن أجل السير بخطى مدروسة ، بأسلوب علمي لتحقيق الوحدة .

صدقي اسماعيل :

الحقيقة ان صيرورة الحياة العربية في واقعها اليومي هي وحدوية، الثقافة تتوجه اتجاهاً وحدوياً بشكل عفوي ، طبعاً هناك شروط اجتماعية ، وشروط اقتصادية ، وشروط ثقافية ، ولكن من جميع هذه الشروط نرى ان البنية الوحدوية ، اي التفكير الوحدوي هو الذي ينتصر ، بمعنى ان واقع التجزئة يصد بواقع اقوى وأعمق هو الحياة اليومية . مثال بسيط عن الارتباط الثقافي ... لبنان البلد المنعزل ، أكثر البلاد العربية تبشيراً بالتجزئة بسبب واقعه السياسي ومصالح الفئات ذات الامتيازات فيه ومع هذا فانه يقوم بدور وحدوي من ناحية النشر ، انه ملتقى للثقافة العربية من خلال توزيع الكتب العربية. على هذا النحو

يمكن أن نفهم الممارسة المتعلقة بالوحدة الاقتصادية ، الآن كل المؤتمرات الاقتصاديه التي تعقد على الصعيد الرسمي قد لا تجدي نظرياً أمام شعور العرب بحاجتهم الى نوع من التكامل في اي موضوع اقتصادي ، كالبترول مثلاً ، او ارتباط الريف بالمدينة .. الخ ، هذا ماعنيت . هناك واقع تجزئة ، وهناك عمل تجزئة ، مفروض علينا ، ولكن في اعتقادي ان هذا ليس مظهر تفاؤل وحسب ولكن تعبير عن الواقع ان الذي يحفظ الخط الوحدوي ويبقيه خلال هذه المرحلة ويزيده قوة لدى الجماهير هو منجزات وحدوية يومية بمستويات قد لا ترتفع الى المستويات السياسية الكبرى ، تجعل دولة تندمج بدولة ثانية او تجعل برامج التعليم واحدة بين عدة اقطار مثلا .. الخ. ولكن هناك مانسميه ممارسة وحدوية جماهيرية وبفضلها يستمر مفهوم الوحدة في الحياة .

فوزي كيالي:

لاشك في ان مفهوم الوحدة العربية قد تطور خلال الفترة الماضية — كما هو شأن كل المفاهيم التي لايمكن ان تبقى ثابتة على حال واحدة — وذلك نتيجة لتطور الاوضاع والظروف من ناحية ونتيجة لتطور وعي الانسان لهذه الظروف والاوضاع من ناحية اخرى .

وعلى هذا يمكن لي أن احدد التطور الذي مر به مفهوم الوحدة العربية بثلاث مراحل .

الاولى : وتبدأ من ظهور البوادر الاولى للنهضة العربية في أواخر القرن التاسع عشر وحتى عام ١٩٤٨ تاريخ قيام اسرائيل .

الثانية : من عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٦٧ عام النكسة وهزيمة ٥ حزيران .

الثالثة : مابعد عام ١٩٦٧.

وبرغم ان هذا التقسيم اصطلاحي بسبب مايقوم بين هذه المراحل من تداخل فيما يتعلق بالخصائص المميزة لكل منها ، فان مثل هذا التقسيم — في اعتقادي - يبقى ضروريا

لأنه يساعدنا على ادراك خط التطور بالنسبة لمفهوم الوحدة العربية ، والعوامل الموضوعية والذاتية التي قادت اليه ودفعت على طريقه .

واذا رجعنا الى المرحلة الاولى ، مرحلة ماقبل عام ١٩٤٨ رأينا :

ان النزوع الى تحقيق الوحدة العربية جاء وليد جملة عوامل موضوعية وذاتية . وكان أهم هذه العوامل هو الدفاع عن الوجود ضد الاخطار التي كانت تهدد الامة العربية في مقومات ذلك الوجود .

فمن المعروف ان البلدان العربية خضعت خلال فترة طويلة لحكم السلطنة العثمانية التي كان يجمع رئيسها بين الصفة الدينية والصفة الزمنية ، وكان العرب ، ومعظمهم من المسلمين ، يعتبرون السلطان العثماني « الخليفة » وليّ أمرهم بحكم مركزه الديني، وعاشوا ضمن الدولة العثمانية في ظل الاخاء الديني مع الشعوب الاسلامية الاخرى التي كانت تشكل الامبراطورية العثمانية ، شأنهم في ذلك شأن الشعوب الاخرى التي خضعت — خلال القرون الوسطى لامبراطوريات وحكومات دخيلة تحت شعار الدين .

ونتيجة للتطور الصناعي في اوربا ، وللنزاع الذي قام بين البرجوازيات الاوربية على الاسواق ، نشأت الفكرة القومية ، وبدأ تشكيل الدولة الحديثة يقوم على اساس الوحدة القومية لا الوحدة الدينية .. هذا التطور فرض نفسه بدرجة أو أخرى على العالم ، ومن الطبيعي أن يفرض نفسه على الاتراك من ناحية وعلى العرب من ناحية أخرى .

ونتيجة لقيام الاتراك بقيادة « جمعية الاتحاد والترقي » التي اسقطت «الخليفة» واستولت على الحكم ، بالغاء الصفة الدينية للدولة ، وفرضها برنامجاً « قومياً » تركيا حاولت ان تخضع له شعوب السلطنة العثمانية الاخرى وان تطمس هويتها ، بما في ذلك تعميم اللغة التركية كلغة رسمية وحيدة في المدارس ، والغاء التعليم باللغة العربية ، كل ذلك جعل العرب يتحللون من آخر رباط يربطهم بهذه الدولة وفرض عليهم ان يواجهوا البرنامج القومي التركي ، ببرنامج قومي عربي يهدف الى النضال من اجل تحررهم من حكم الغرباء ، ليشنؤوا دولتهم الخاصة ، التي تكفل لهم حريتهم ، وتحفظ لهم لغتهم ، وتعيدهم الى مسرح التاريخ ليلعبوا عليه دورهم الخاص .

كان النشاط السياسي العربي قد سبق استيلاء جمعية الاتحاد والترقي - الطورانية على الحكم في تركيا ، وكان هذا النشاط يهدف الى استخلاص نوع من الحكم الذاتي للولايات العربية في اطار الدولة العثمانية ، ولكن انقلاب طبيعة السلطة في الدولة العثمانية وتحولها الى زعامة قومية طورانية ، ساعد على تطور برنامج العمل السياسي العربي باتجاه برنامج قومي عربي ايضاً ، واخذت حركة القومية العربية شكلا اكثر وضوحاً واكثر جذرية في تحديد مطالبها ورسم اهدافها متخلصة بالتدريج من العواطف الدينية .

واذا كان ظهور الحركات القومية في اوربا مرتبطاً الى حد كبير بالثورة الصناعية ونمو الطبقة البرجوازية فيها ، فان ظهور حركة القومية العربية في بادىء عهدها كان مرتبطاً الى حد كبير بغريزة الدفاع عن النفس وبالحرص على البقاء بالاستقلال والتحرر بالنسبة لأمة تقوم بين افرادها أوسع وأعمق علاقات الوحدة منذ اقدم العصور ، وكان لها دور حضاري بارز لاتزال اصداؤه تتردد في ضمائر ابنائها برغم ماصابها من تخلف .

واذا لاحظنا ان الولايات العربية التي كانت خاضعة للدولة العثمانية قبل الحرب العالمية الاولى وجميعها في المشرق العربي والتي تحركت من خلال ثورة عام ١٩١٦ بقيادة شريف مكة « الشريف حسين » مطالبة بالاستقلال ، انما كانت تمثل وطناً واحداً بلغته وعاداته وتاريخه واقتصاده موزعاً الى ولايات لاتقوم فيما بينها اية حواجز ادارية او قيود اقتصادية او جمركية ، ادركنا كيف ان فكرة الاستقلال كانت متطابقة مع فكرة الوحدة ضمن اقاليم المشرق العربي على الاقل ، حيث لم يكن احد يتصور ، في ذلك الوقت استقلال سورية ، او العراق ، او الحجاز ، فضلا عن الاردن ، ولبنان ، وفلسطين ، خارج اطار الدولة العربية الواحدة .

ولاشك انه كان للثقافة الاوربية ، وللافكار القومية المتنقلة من ديار الغرب الى البلاد العربية ، عن طريق ابنائها الذين درسوا في مدارس الغرب ، تأثير كبير على هذه الحركة لا من حيث شكلها فقط وانما من حيث مضمونها والاتجاهات التي سادتها خلال المرحلة الاولى من مراحل نشوئها وحتى عام ١٩٤٨ تقريباً. وهذا ماجعل للفكر القومي الالماني ، وللنموذج الالماني في تحقيق الوحدة، سحره وتأثيره على مفهوم الوحدة العربية خلال المرحلة الأولى التي مر بها هذا المفهوم .

ولذلك رأينا القوميين الاوائل يبحثون عن تكوين « امبراطورية عربيــة » ويتصورون الوصول اليها عن طريق قيام « بروسيا عربية » تأخذ على عاتقها توحيد الوطن العربي « بحد السيف » وعن طريق اقامة تحالفات،ضمن اطار النظام الاستعماري الامبريالي ، يساعد على تحقيق هذا الهدف ، تماماً كما فعلت بروسيا ، وكما فعل بسمارك ، عندماحقق الوحدة الالمانية .

ولقد فشلت هذه المخططات جميعها لجملة اسباب :

اولا : لقد كانت قيادة حركة القومية العربية باتجاه الوحدة في خلال هذه المرحلة مختلفة جذرياً عن قيادة حركة القومية الالمانية والحركات القومية الاخرى في اوربا خلال القرن التاسع عشر . وذلك بسبب انخفاض مستوى التطور الاقتصادي في البلدان العربية عنه في البلدان الاوربية ، ولعدم وجود طبقة بورجوازية وطنية جدية تستطيع ان تقود النضال القومي الوحدوي ، مما جعل قيادة هذه الحركة تنحصر في بادىءالأمر بالطبقة الاقطاعية ، وجعل دور البورجوازيه محدوداً وضعيفاً حتى في الايام الاخيرة من المرحلة . بينما كان النضال الوحدوي بطبيعته نضالاً ضد الاقطاع والاقطاعيين بالدرجة الأولى وفي سبيل تجاوز هذه المرحلة من مراحل التطور وإنهائها .

ثانياً : وحتى بالنسبة للبرجوازية الوطنية التي شاركت ، بدرجة أو بأخرى ، الطبقة الاقطاعية في قيادة حركة التحرر الوطني العربي باتجاه الوحدة خلال هذه المرحلة، فانها كانت ضعيفة من ناحية ، وذات طبيعة مزدوجة – برجوازية اقطاعيـة — من ناحية اخرى . وكانت تعمل في الوقت نفسه ضمن ظروف مختلفة عن تلك التي عملت في ظلها البرجوازيات الاوربية ، وخصوصاً الالمانية في خلال القرن التاسع عشر .

ومن هذه الاختلافات الاساسية أن النظام الرأسمالي قد تحول منذ أوائـل القرن التاسع عشر الى نظام امبريالي ذي طبيعة مختلفة الى حد ما عن تلك التي كانت له من قبل ، مما ادى الى اضعاف الدور الوطني للبورجوازيات المحلية بالتدريـج ، الى ان اصبـح هذا الدور ضعيفاً جداً في منتصف القرن العشرين بحيث اصبحت البورجوازية الوطنية ، شاءت أم ابت ، جزءاً من النظام الامبريالي العالمي،وبذلك فقدت استقلاليتها عن البورجوازيات الاكبر والأقوى ، واصبحت تدور في فلكها .

وكانت الامبريالية خلال هذا القرن ضـــد كل شكل من أشكال التوحيد بين ابناء القومية الواحدة خلافا لما كانت عليه سياسة الاستعمار في مراحل سابقة . فمثلا نجد أن فرنسا حين حكمت سورية بعد الحرب العالميـة الاولى ، جزأت سورية الى عـدد من الدويلات واتفقت مع بريطانيا على سلخ فلسطين وشرق الاردن من سورية الطبيعية ، وأقامت دولة خاصةفي لبنان . كذلـك فعلت انكلترا بالنسبة للجزء الجنوبي من سورية حيث شطرته الى قسمين : فلسطين وشرق الاردن ، ولم تفكر مثلا بأن توحد الاردن مع العراق ، وكلاهما كان خاضعا لسلطانها ، بينما نجد ان الاستعمار البريطاني لم يلجأ الى شيء من ذلك في الهند عندما حكمها ابتداء من القرن السابع عشر ، برغم ان الهند قـــارة كاملة وتقوم فيما بين ابنائهـا فروق عرقية ولغوية ودينية تصلح لان تتخـذ ذريعة لمثل هذا التقسيم . ولكن مصلحة الاستعمار البريطاني نفسه كانت تقتضي في ذلـــك العصر توحيد الادارة الاستعمارية في اكبر رقعة ممكنة ، مما أدى الى اضافة اراض جديـــدة الى الهند استولت عليها بريطانيا ولمتكن في الاصل جزءاًمن الهند نفسها .

ثالثاً ــ أن الفكرة القومية لم تكن قومية خالصة وإنما كانت في كثير من الاحيان مشوبة بتأثيرات دينية ، وهذا ماينطبق على البلدان العربية وعلى دعاة القومية العربية خلال فترة ماقبل ١٩٤٨ بدرجةاو باخرى . وهو مايؤكد التأثير الذي تركته القيادات ذات المنشأ الاقطاعي على فـكرة القومية العربية . وهو يظهر في الوقت نفسه ضعف التطور الاقتصادي في الوطن العربي وانعكاس ذلك على الفكرة القومية ذاتها .

ونتيجة لهذا ، فاننا نرى مثلا ان دعاة القومية العربية عام ١٩١٦ لم يجدوا من يمثل هذه الحركة ويتزعمها أفضل من الشريف حسين « شريف مكة » ، بسبب ماله من مركز ديني بالدرجة الاولى وبقيت مشروعات التوحيد العربية خـلال فترة طويلة قبل عام ١٩٤٨ تدور حول مشروعات ملكية ضمن محورين ، محور العائلة السعودية ،ومحور الاسرة الهاشمية . وكانت الوحدةفي مفاهيم البعض عبارة عن توسيع رقعة مملكة هذاالعاهل أو ذاك ، عن طريق الضم أوعن طريقالمصاهرة او عن طريق التآمر الدخلي والخارجي بمباركة هذهالدولة الاستعماريةأو تلك ، بينما كانت هذهالدول الاستعمارية فيحقيقة أمرها ضد التوحيد بين أي قطرين عربيين من حيث الاصل ، لأن التجزئة ذاتها ما كانت لتقوم بين

دول المشرق العربي خاصة ، لولا هذه الدول الاستعمارية نفسها . وبصورة عامة ، ونتيجة للظروف والملابسات التي اشرت اليها ، فانني استطيع القول ان مفهوم الوحدة العربية كان خلال ماقبل عام ١٩٤٨ مفهوماً رومانسيا متخلفا بعض الشيء عن العصر الذي يتحرك في اطاره ، متأثرا الى حد كبير بالفكر القومي الاوربي خلال القرن التاسع عشر ، وخاصة الفكر القومي الالماني، يقوده الاقطاع والبورجوازية، مشوبا الى درجة كبيرة بمؤثرات دينية وباتجاهات عرقية تعتمد على فكرة التفوق العرقي احيانا ، ولا تخلو من نزعات شوفينية. وكان دعاة الوحدة يعتمدون الى حد كبير في تحقيق هذه الوحدة على الاسر المالكة وعلى التناقضات الاستعمارية وعلى الصفقات السياسية التي يمكن أن تتم بينهم وبين القوى الكبرى التي لها نفوذها في المنطقة وجاءت هزيمة العرب في عام ١٩٤٨ التي ادت الى قيام دولة اسرائيل لتنهي هذه المرحلة ، ولتسقط القيادة الاقطاعية البرجوازية .

المرحلة الثانية :

وهي مرحلة ما بعد ١٩٤٨ وحتى ١٩٦٧ ، عام النكسة وهزيمة ٥ حزيران . لا شك ان تطورا كبيراً قد طرأ على مفهوم الوحدة العربية خلال هذه المرحلة من حيث المضمون ومن حيث الشكل ايضا . وهذا التطور في مفهوم الوحدة العربية لم يبدأ بالضبط في عام ١٩٤٨ ، وانما كانت له مقدماته الفكرية والفلسفية والسياسية والاقتصادية فيماقبل ذلك ، اذ كان التطور الاقتصادي قد بدأ يتجه نحو إبراز دور وتأثير الجماهير العربية بقيادة الطبقة الوسطى ، وبدأ الوعي الفكري يزداد لدى الجماهير العربية بحيث ادركت ان تحقيق الوحدة العربيـــة لا يمكن ان يتم بالتحالف مع الاستعمار ولا بقيادة الطبقة الاقطاعية والبرجوازية ، بل على العكس من ذلك تماماً ، لا بد ، كشرط أساسي وضروري لتحقيق الوحدة العربية، من طرد الاستعمار والقضاء على نفوذه وانجاز التحرر السياسي « التحرير » والقضـــاء أيضاً على النظامين الاقطاعي والبرجوازي وتحقيق التحرر الاجتماعي « الاشتراكية » ، ولذلك اكتسب مفهوم الوحدة العربيـة مضموناً نضالياً جديداً ، وأبعاداً سياسية واجتماعية واقتصادية لم تكن الجماهير قد وعتها بشكل جيد من قبل . وأصبح طريق الوحدة العربية يمر بالضرورة عبر معارك الجماهير العربية ضد الاستعمار وعبر معاركها ضد الطبقات المستغلة والأسر الحاكمة ، لا كما كان يتصور البعض

من قبل ان هذا الطريق يمر عبر شهوات ومطامع الأسر الحاكمة ، ومن خــلال صفقات البيع والشراء التي تتم مع الدول الاستعمارية . وهذا ما أدى الى انقلاب جذري في مفهوم الوحدة العربية من حيث قيادتها ومن حيث مضمونها ومن حيث اسلوب عملها ومن حيث تصنيف أصدقائها وأعدائها .

وبعد ان كان مفهوم الوحدة العربيــة مملوءاً بمضمون رومانسي عاطفي ينطلق من النزوع الى الماضي وينطوي على مؤثرات دينية ونزعات عرقية ، تطور هذا المفهوم باتجاه جماهيري انساني تقدمي نضالي ، ينطلق من التطلع نحو المستقبل . وبدلاً من أن تكون الوحدة سبيلاً لاقامة الامبراطورية بصورتها التاريخيــة ، أصبحت سبيلاً لبنـاء المجتمع العربي الاشتراكي الموحد في صورته الاكثر تقدماً والاكثر عصرية .

والتحم النضال الوحدوي بالنضال التحرري على الصعيدين الخارجي «الحرية» والداخلي « الاشتراكية » وبقي موضوع الوحدة العربيــة الموضوع المركزي والمهمة الأساسية بين مهمات النضال العربي .

ولذلك كان من أول نتائج تطور هذا المفهوم هو اتجاه النضال الوحدوي لاسقاط الانظمة الرجعية في الاقطار العربية وتشديد النضـال ضد الدول الاستعمارية ونفوذها في المنطقة ، باعتبار ان هذه الانظمة الرجعية وتلك الدول الاستعمارية هي العقبة الرئيسية في طريق الوحدة، وفي طريق انتصار ارادة الجماهير العربية ، على أمل ان تتمكن الانظمة الجديدة « التقدمية » من تحقيق ما عجزت عن تحقيقه الانظمة الرجعية .

وتمكنت الجماهير العربية فعلاً من اسقاط عدد من هذه الانظمة في عدد من الأقطار العربية ، وكانت أكبر ضربة وجهت الى هذه الانظمة ، قيــام ثورة ٢٣ يوليو بقيادة الرئيس الراحل جمال عبدالناصر في مصر . وكذلك استلام الجبهة التقدمية السلطة في سورية وازاحتها تحالف الاقطاع ورأس المال عن الحكم فيها . وكان من نتيجة هذين الحدثين الهامين اقامة وحدة عـام ١٩٥٨ بين سورية ومصر كأول تجسيد واقعي لآمال الجماهير العربية في الوحدة . وبذلك استطاعت هذه التجربة ان تبرهن لاصدقاء الأمة العربيــة ولأعدائها في الوقت نفسه على ان مطلب الوحدة العربية ليس مطلباً ضرورياً ومصيرياً

فقط ، وانما هو مطلب ممكن التحقيق وعملي ايضاً .

ولا بد أن نؤكد هنا انه لولا وجود عبد الناصر ونظامه في مصر ، ووجود حكم شعبي تقدمي في سورية يسيطر عليه ويوجهه حزب البعث العربي الاشتراكي في سورية لما قامت وحدة عام ١٩٥٨ كأول تجربة وحدوية رائدة في تاريخ العرب الحديث .

واذا كانت وحدة عام ١٩٥٨ قد انتكست وانتهت بحادثة الانفصال المشؤومة عام ١٩٦١ ، فان لذلك أسباباً كثيرة أهمها :

أولاً ـ ان المسؤولين عن هذه الوحدة لم يدركوا ، الا بعد وقوع الانفصال ، مدى ما يمكن ان يثيره قيام الوحدة من عداء القوى الاستعمارية والرجعية ، لذلك فان اجراءات حمايتها والدفاع عنها لم تكن في مستوى الخطر الذي كان يحيط بها ويترصدها .

ثانياً ـ ان طبيعة الوحدة كثورة جذرية يمكن ، فيما لو بلغت مداها ، ان تقلب الاوضاع الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية في المنطقة ، لم تفهم على حقيقتها . ولذلك فقد عهد بحماية الثورة وقيادتها للكوادر البيروقراطية بدلاً من أن يعهد بهذه الحماية للجماهير والقيادات الثورية ، وبذلك قيدت حركة الجماهير وخنقت مبادرتها وافرغت الوحدة من مضمونها الشعبي الجماهيري .

ثالثاً ـ الخلاف الذي وقع بين الأطراف القومية التي ساهمت في قيام دولة الوحدة وافتراقها عن بعضها ، مما يعتبر بين جميع حوادث التاريخ العربي المعاصر أشدها ضرراً وأبلغها أثراً في اضعاف شوكة النضال العربي ضد الاستعمار والرجعية وفي سبيل اقامة الوحدة العربية

ولعل هذا الخلاف بالذات وما تبعه من تصادم بين قوى الثورة العربية على مدى سنوات طويلة قاد الى الكثير من الكوارث التي أصيب بها النضال العربي بما في ذلك الانفصال الذي وقع عام ١٩٦١ وتبديد الطاقات الثورية والجهود العربية في اطار الخلافات الداخلية مما شغل العرب عن الاستعداد الجدي ليوم المعركة الفاصلة .

رابعاً ـ ولا بد لنا هنا من أن نذكر ـ للعبرة والتاريخ ـ بانه كان لمواقف بعض

المنظمات التقدمية العربية وخصوصاً في العراق ، في عهد عبد الكريم قاسم ، أثره الكبير في لجم مد الثورة العربيه الوحدوية ، وفي تبديد طاقات النضال العربي .

ويجدر بنا هنا أن نسجل أنما أسفرت عنه تجربة الانفصال بالنسبة لتطورمفهوم الوحدة العربية هو :

آ – ان الوحدة لا يمكن أن تقوم الا بنضال الجماهير ذاتها ،وان الأنظمةالبوليسية مها حسنت نواياها ، هي أنظمة عاجزة عن تحقيق أية حماية مجدية ضد الأعداء الحقيقيين للوحدة ودولتها .

ب – ان جبهة أعداء الوحدة العربية جبهة عريضة تضم الامبريالية والاستعمار والصهيونية والرجعية ، وان هذه القوى الأساسية لها احتياطياتها التي لا غنى لهـا عن مساعدتها ... البيروقراطية ، والتخلف ، والانقسامات الداخلية ، مهما كانت أسبابها ومهما كانت مظاهرها .

ج – ان ثورة الوحدة تحتاج الى أداة ثورية واحدة ، وان أخطر ما يمكن أن يهدد النضال الوحدوي هو الانقسام بين فصائل الثورة العربية خصوصاً اذا وصل الانقسام الى مرحلة الصدام ، ولذلك كان مما أعلنه الرئيس الخالد جمال عبد الناصر بعد تجربة حادثة الانفصال وبعد فشل ميثاق ١٧ نيسان هو ضرورة اقامة الحركة العربية الواحـدة أداة وحيدة للثورة العربية في سبيل انجاز مهماتها في الحرية والاشتراكية والوحدة .

المرحلة الثالثة :

لقد كشف عدوان ٥ حزيران عام ١٩٦٧ وما انتهى اليه من هزيمة نكراء لقوى الأمة العربية أمام قوى الصهيونية المدعمة بقوى الامبريالية العالمية وعلى رأسها الولايات المتحدة الاميركية ، أن لا سبيل أمام الأمة العربية للخلاص ، ولاستمرار الوجود، ولفتح أبواب المستقبل على التقدم ، والمشاركة في بقاء حضارة العصر ، بغير الوحدة .

ولقد وعت الجماهير العربية هذه الحقيقة كرد على النكسة في عام ١٩٦٧ ، كما كانت تعيها دائماً عندما تجد أن مصيرها مهدد ، وأن وجودها تحف به الأخطار من كل جانب . ولذلك رأينا كيف أن النضال الوحدوي ازداد حدة على أثر هزيمة حزيران مما أدى الى قيام دولة اتحاد الجمهوريات العربية كخطوة أولى في طريق وحدة حقيقية بين الأقطار الثلاثة وفي طريق الوحدة الشاملة .

وفي التصور الاخير فأن الوحدة هي مركب النجاة الوحيد بالنسبة لامة مهددة بأن تغرق في الطوفان . . طوفان العداء والمطامع التي تتكالب عليها من كل جانب ، وطوفان المشاكل الذاتيـــة والعجز والتخلف . . . وما لم تبدأ بالاستفادة من الدروس المستفادة من الماضي بشكل جدي ، وتحول هذه الفوائد التي دفعنا ثمنها غالياً الى واقـــع عملي في حياتنا ، فان الطريق لن يمضي بنا أبداً الى حيث نريد .

وان أخطر ما يمكن أن يتحول اليه مفهوم الوحدة في وقت من الاوقات هو أن يتحول الى مجرد أمنية أو مجرد شعار ، دون أن توضع في خدمته ، وعلى طريق تحقيقه كل الامكانيات ، وتحشد من أجله كل الطاقات ، وتسقط في سبيله كل الاعتبارات .

ولعل ما هو أخطر من ذلك أن يتحول هـــذا المطلب الحيوي الى شعار سياسي تكتيكي لتملق الجماهير تارة ، أو لاستخدامه كطعم في سنارة صيد مسمومه تارة أخرى.

ولا سبيل الى طرح قضية الوحدة العربية طرحاً جدياً ، الا بطرح موضوع الوحدة الوطنية ، سبيلاً وحيداً وخطوة أساسية في سبيل اقامة الحركة العربية الواحدة، طرحاً جدياً وملحاً ، واتخاذ كافة الاجراءات اللازمة لذلك .

أدهم مصطفى :

بالنسبة للوحدة العربية نحن أمام مفهوم ثورة ، والوحدة العربية مرتبطة طبعاً بالثورة العربية ، سواء عنينا بها نهضة أواخر القرن التاسع عشر أو المعاناة التي يعيشها الشعب العربي في الوقت الحاضر ، فهي ثورة على كل الاحوال . ومن طبيعة الثورات أن تكون ذات نزعة هجومية لتعمل على تغيير الواقع وتجاوز التجزئة للضرورات التي عبر عنها بعض الاخوة ، منها التطور الاجتماعي ، والتماس مع الحضارة الحديثة ، الامر الذي يقوي الشعور بضرورة التطور باتجاه ما . بالنسبة للعرب فان التطور المطلوب والملح هو التطور الوحدوي .

المفهوم الوحدوي ، وان كان قد بدأ بشكل غائم ، وغير محـدد ، وغير مقنن ، إلا أن الأحداث التي مرت على الامة العربية أظهرت أن هناك أفكاراً أكثر عمقاً، وأكثر اتساعاً ، بحيث أن الربط بين مفهوم الوحدة ، ومفهوم الاشتراكية أصبح متلازماً فعلاً تلازماً عضوياً .

غير أن العمل الوحدوي مايزال الى الآن في رأيي يشكل عمليات رد فعل تأتي في أعقاب بعضها البعض ضد المحاولات الامبريالية لمنع هذه الأمة من تحقيق الوحدة ، ولابقائها في هذه الحالة من التخلف والتجزئة ، بحيث أن هناك شعوراً لدى الآخرين ، لدى القوى العالمية الكبرى ، بأن العرب عندما يتوحدون ، يمكن أن يخلوا بموازين العصر ، ومن هذا المنطق أقول ان الوحدة عمل يومي ملح ، وما هذه الندوة الا احدى هذه الظواهر ، وأنا أؤيد ماقاله الأستاذ صدقي اسماعيل من أن هناك انجازات وحدوية يومية ، ولكنها — للأسف — ذات طابع ارتجالي . هناك ضغط من الجماهير من أجل الوحدة ، ونحن على اختلاف هذه الأنظمة نحاول أن نداري هذا الضغط بين حساب القوى الكبرى ، وبين القوى المحلية ، وبين حساب المصالح الذاتية ، وبين حساب مصالح الحركات السياسية .

أصيبت وحـــدة ١٩٥٨ بنكسة ، لكن الشعب العربي بقي يضغط ، جماهيرياً وبحركات سياسية مختلفة ، وجاءت التغييرات في سورية لتعبر عن مصالح الجماهير في الوحدة .

التطور الذي حصل هو أننا كنا نتكلم عن وحدة سياسية ، ثم تطورت الى وحدة سياسية ذات مضمون اجتماعي معين وهو الاشتراكية ، والآن نحن إزاء معركة مع اسرائيل يمكن أن يضاف اليها ضرورات المعركة ، وما يقتضي ذلك من توحيد القيادات العسكرية ، كل هذا بالتالي سيساعد على ايجاد عملية تفاعل كبرى يمكن أن تتمخض عنها عملية وحدوية كبيرة جداً . إننا إزاء الضغط الاستعماري والضغط الصهيوني، لم نتبين طريقاً معيناً للعمل، وهذه مسؤوليتنا جميعاً، مسؤولية هذا القطر بالدرجة الأولى لما يتميز به من تقدم في الوعي القومي ، وهذا ما يحمل القطر مسؤوليات أكثر من أي قطر آخر . هذا هو الوضع التاريخي ، ولكن نحن أمام مستقبل ، وعلينا أن نعين عملنا وبسرعة من أجل انجاز وحدوي أعمق .

أريد أن اقول ان الزمن يتجاوز كثيراً من التساؤلات، كيف؟. لماذا؟ ولكن نحن الآن أمام عمل مصيري وجدي ، وعلينا أن نقبل على العمل الوحدوي

أخذاً من التجارب الماضية ، وانطلاقاً نحو تصور معقول للمستقبل ، وأعتقد أن الاتحاد الثلاثي يشكل تطوراً كبيراً في هذا الاتجاه .

مفهوم الوحدة العربية تحول الآن الى واقع ملموس تعبر عنه دولة الاتحاد والمحاولات المبذولة لتعميق هذا الاتحاد وتطويره. ومعنى ذلك ان الوحدة العربية لم تعد مجرد مفهوم نظري ، وانما هي الآن واقع عملي يتجسد في مؤسسات وتشريعات وحدوية .

هذا المفهوم الذي كان يحمل طابع التبشير ، بدأ يتحول شيئاً فشيئاً من مجرد شعار الى حقيقة قائمة . والمطلوب الآن هو ترسيخ هذه الحقيقة وتكريسها بحيث يستقطب العمل الوحدوي كل الجهود المتوفرة والمتاحة ، وبحيث يتعمق مفهوم الوحدة ويصبح جزءاً من حياتنا وممارستنا وعملنا السياسي واليومي .

أديب ملحم :

لبحث مراحل تطور الوحدة العربية بعد الحرب العالمية الثانية ، لا بد من أن نربط ما بين الحاضر وبين الماضي .

فكرة الوحدة العربية ليست بالفكرة النظرية التي وُجدت من قبل مفكر أو مفكرين،بل كانت بنت الواقع العربي ، لأن مفهوم الوحدة العربية وُجد في فترات متعاقبة من الزمن ، واستطاع العرب أن يحققوا وحدة لهم في مراحل طويلة من خلال نضالهم العربي ، ومن خلال وجود الاستعمار ، سواء كان الاستعمار العثماني أو الاستعمار الغربي الأوربي ، حيث تمت تجزئة الأمة العربية الى أجزاء ، فكان لا بد للمفكرين العرب من أن يعملوا ويناضلوا لتحقيق الوحدة العربية .

الدعوة العربية ، الدعوة للوحدة العربية كانت أملاً من آمال الجماهير العربية منذ البداية،وكان المفكرون في الوطن العربي، في مشرقه وفي مغربه، يتنادون للدعوة العربية ، وكانت هنالك بعض الدعوات الاقليمية التي وُجدت بمساعدة الاستعمار أو بعض الظروف

الاقليمية التي أرادت أن تعرقل المد القومي ، ففي البداية كانت المرحلة مرحلة تثبيت المفاهيم القومية فلذلك انطلقت الدعوة القومية إلى الوحدة العربية كأمل من الآمال للمفكرين العرب، ومن خلال المفكرين العرب بدأت الجماهير العربية تتحرك في هذا المجال، ولكن بعد الحرب العالمية الثانية ، أصبح هنالك محتوى أساسي لهذه الدعوة للوحدة العربية ، وبدأ المفكرون ، وبدأت الحركات الثورية الوحدوية تنادي بالوحدة العربية كأمل من آمال الجماهير ، ولا بد من العمل لتحقيقه .

جاءت بعض الظروف التي هيأت ونبهت، وأخذت هذه الدعوة مداها على أوسع مدى من خلال النضال ضد الاستعمار ، وكذلك من خلال القضية الفلسطينية في عام ١٩٤٧ . كثير من الحركات الثورية والتقدمية في الوطن العربي أعطت الأولوية للوحدة العربية ، من ناحية الشكل ، وكذلك من ناحية المضمون . وهي ردة فعل لواقع التجزئة الذي عانت منه الأمة العربية ، فكان لابد من النضال الوحدوي والعمل الوحدوي ، ولكن بعد هذا النضال لتحقيق الوحدة العربية كان لابد من تحرير المجتمع العربي من الاستعمار ، وتحرير الجماهير العربية من الواقع الفاسد أو الظلم الاجتماعي الموجود ، فكانت هناك دعوات موجودة في المشرق العربي وفي المغرب العربي ، وبدأت الدعوة لربط النضال القومي بالنضال الاشتراكي ، وأصبحت هذه الدعوة بعد أن اعطت الأولوية للوحدة العربية تربط بين النضال القومي والنضال الاشتراكي سواء من حيث تحرير الأجزاء العربية ، أو من حيث تحقيق العدالة الاجتماعية .

جاءت وحدة ١٩٥٨ تلبية لآمال الجماهير العربية ، في مصر وفي سورية وفي بقية الأقطار العربية ، وقد تمثلت فعلاً في سورية ومصر ، من خلال النضال المستمر الذي برز في هذين القطرين ، ولكن الجماهير العربية في كل الوطن العربي مشرقه ومغربه كانت تتطلع إلى هذه الوحدة على أنها أمل من الآمال أو نواة لتحقيق الوحدة العربية الشاملة .

للأسف فان الاستعمار لعب دوراً أساسياً مع بعض الحركات الاقليمية، مع بعض الدعوات ضد الوحدة العربية التي أرادت لهذه الوحدة أن تتحطم وتضرب، وفعلاً ضربوا الشكل بالنسبة للوحدة العربية ، أما المضمون الحقيقي فلم يتأثر ، ومن المؤكد أن هذا

الصراع أدى إلى تعميق التجربة ما بين سورية ومصر ، ومنذ اللحظات الأولى للوحدة مـا بين سورية ومصر ، ووجود الانفصال ، تعمق مفهوم الوحدة العربية ، وارتبط ارتباطاً كاملاً بمفهوم الحرية ومفهوم الاشتراكية، وأصبح لابد لأية دعوة للوحدةالعربية أن ترتبط ارتباطاً كاملاً بالمفهوم الاشتراكي ، أي لابد لأي دعوة للوحدة العربية أن يكون لها محتوى اشتراكي ، ومضمون اجتماعي حقيقي .

من خلال نضال الجماهير العربية في المشرق وفي المغرب ، تحقق في النهاية قيام الاتحاد مابين الدول العربية الثلاث سورية ومصر وليبيا ، هذه الدولة الاتحادية التيتأمل الجماهير العربية أن تكون نواة لتحقيق الوحدة العربية ، ويحتمل أن تكون التجربة ، التي مرّ بها الشعب العربيفي سورية ومصر من خلال وحدة ١٩٥٨، قد أدت إلى تقارب بعض الظروف ووجود الظروف الموضوعية ما بين هـذه الأقطار للوصول في المستقبل إلى الوحدة العربية الكاملة .

هذا يتطلب النضال المشترك ضد الاستعمار ، والنضال ضد الرجعية ، ووجود المحتوى التقدمي لهذه الدعوة القومية، وتلازم النضال الوحدوي مع النضال الاشتراكي، كل هذه الأمور لابد أن تتضافر لتحقيق الوحدة العربية .

الوحدة العربية لاتأتي عن طريق عملية لصق ، لأن عملية اللصق ، قـد يجوز وجدت دعوات استعمارية في السابق ، أو بتهيئة من الدول الاستعمارية للصق بعض الدول العربية ، ولكن من السهل فصل هـذه الدول عن بعضها البعض ، فلابد من عملية صهر وتلاحم، وهذا دور الحركات الثورية في أي قطر من أقطار الأمة العربية عندماينادون أو ينطلقون لتحقيق الوحدة العربية .

أصبح مفهوم الوحدة العربية ، مفهوماً واقعياً ، بعد أن كان قبل الأربعينات أو حتى قبـل الخمسينات ، كان الذي ينادي بالوحدة العربية في بعض الأحيـان ، أو بتحقيق الوحدة العربية ، كان يقابل بنوع من الاستهجان لهذا الطرح وبالأخص في الواقع العملي .

أما الآن فقد أصبح مفهوم الوحدة العربية مفهوماً واقعياً ، ومقراً ، من قبل كل القوى العربية ، ومن قبل كل الجماهير العربية، فلذلك لابد من التفكير في ناحيةالشكل وناحية المضمون ولتحقيق الوحدة العربية . في رأيي يجب أن ننطلق من وجود هـذا الاتحاد ، فـاذا عُمّق في المستقبل من الممكن أن نصل إلى وحدة عربية ما بين هذه

لابد كذلك من شيء أساسي وهو أن الحركات الثورية ، أو القوى التقدمية في الوطن العربي، يجب أن يكون لها الدور الأساسي في هذه الوحدة ، عن طريق قيام الحركة العربية الواحده ، هذه القوى التقدمية لابد أن تناضل مع بعضها البعض وأن تنصهر قدر الامكان مع بعضها البعض كي نتوصل إلى حركة ثورية واحدة ليسهل تحقيق الوحدة العربية ما بين الأقطار العربية ، وتحقيق الوحدة العربية ليس بالأمل البعيد ، أو من الأمور النظرية التي لا يمكن تحقيقها ، هنالك في التاريخ كثير من الحوادث تثبت تحقيق الوحدة العربية إن كان في المشرق أو المغرب ، وفي التاريخ الحديث ثبت من خلال الوحدة ما بين سورية ومصر أن الشعب العربي فعلا متلاحم ليس في سورية ومصر بالعكس في بقية الأقطار العربية ، وعندما تمت عملية الانفصال وُجدت ردة الفعل عند الشعب العربي على هذه الحركة الانفصالية وهي دليل الروح الوحدوية الموجودة لدى الشعب العربي . إذاً وجود الحركات الثورية أو القوى التقدمية الحكومات الثورية إذ فعلاً استطاعت من خلال عملية النضال المستمر وعملية الصهر أن تتوصل في المستقبل إلى الوحدة العربية التي هي الأمل المنشود للجماهير الكادحة ، وهذه الوحدة المبنية على تحقيق العدالة الاجتماعية ، أو تحقيق الاشتراكية للشعب العربي .

